



عندما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، كان تعداد الذين دخلوا في الإسلام 124,000 – مائة وأربعة وعشرون ألفاً – وكان تعداد الجزيرة العربية يومئذ مليون من السكان.

وعندما جاء العلماء المسلمين – المؤرخون وكتاب السير والطبقات – ليكتبوا سيرة الذين صحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وعاصروه، وآمنوا به، وتعلموا على يديه، ميزوا النخبة والصفوة والطليعة، التي روت الحديث، وكان لها دور بارز وتضحيات ملحوظة في إقامة الدين وتأسيس الدولة، ونشر الدعوة، والجهاد دفاعاً عن الإسلام وأمته ودولته، فأحصوا نحو ثمانية آلاف، بينهم أكثر من ألف من النساء، وهي أعلى نسبة من النخبة والصفوة تتكون في هذا الزمن الوجيز في عمر الدعوة النبوية – ثلاثة وعشرون عاماً – إذا ما قارناها بالنخب التي تكونت إبان الثورات والنهضات، بل وحتى ما سبق من النبوات والرسالات.

ونحن نستطيع أن نقول عن هذه النخبة – من الصحابة – إنهم الذين تربوا في مدرسة النبوة، وصنعهم الرسول على عينه، في مؤسسات التربية النبوية، دار الأرقام بمكة، والروضة الشريفة في مسجد النبوة.

وإذا شئنا أن نضرب الأمثال على الثمرات التي أثمرتها هذه المدرسة النبوية، وعلى نوعية هذه الصفوـة وهذه النخبـة فسنجد ألواناً من الرجال والنساء تفريـدوا ولا زالوا متفردين في صفحـات التاريخ.

كان هناك العشرة – المهاجرون الأولون – الذين سبقوـا إلى الإسلام عندما بدأـت الدعـوة، والذين مثلـوا أول هـيئة دستـورية في دولة النـبوة والخلافـة الراشـدة والذين كانوا أـشبـهـ ما يكون بـقادـة الـدولـة، تحـيط بـبيـوـتـهـم بـالـمسـجـدـ – دـارـ الـحـكـومـةـ – ولـهـاـ أـبـوـابـ تـفـتحـ فـيـ المسـجـدـ، وـفـيـ الصـلاـةـ يـقـفـونـ خـلـفـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـفـيـ القـتـالـ يـقـفـونـ أـمـامـهـ!.

وكان هناك النقبـاءـ الاثـنـاـ عـشـرـ – قـادـةـ الـأـنـصـارـ – الـذـينـ توـلـواـ فـيـ بـيـعـةـ العـقـبـةـ مـبـاـعـةـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـلـىـ إـقـامـةـ الـدـوـلـةـ، وـآـوـواـ وـنـصـرـواـ الـمـهـاجـرـينـ الـذـينـ سـبـقـواـ لـإـسـلـامـ.

وحتـىـ نـدـرـكـ نوعـيـةـ التـرـبـيـةـ النـبـوـيـةـ الـتـيـ صـاغـتـ منـ "ـالـبـدـوـ"ـ وـ"ـالـأـعـرـابـ"ـ وـآـحـادـ النـاسـ وـعـامـتـهـمـ هـذـهـ الـقـيـادـاتـ وـالـرـيـادـاتـ، نـشـيرـ إـلـىـ الـبـدـوـيـ رـبـعيـ بنـ عـامـرـ التـمـيـيـ، الـذـينـ دـخـلـ عـلـىـ رـسـتـمـ قـائـدـ الفـرسـ إـبـانـ الفـتـحـ الـإـسـلـامـيـ لـفـارـسـ فـيـ ثـيـابـ مـرـقـعـةـ، فـلـمـ سـأـلـهـ رـسـتـمـ مـسـتـنـكـرـاًـ ماـ الـذـيـ جـاءـ بـكـ؟ـ قـالـ لـهـ مـقـالـةـ أـحـدـ كـيـارـ الـفـلـاسـفـةـ:ـ إـنـ اللـهـ اـبـتـعـثـنـاـ وـجـاءـ بـنـاـ لـنـخـرـجـ مـنـ شـاءـ مـنـ عـبـادـ إـلـىـ عـبـادـةـ اللـهـ، وـمـنـ ضـيقـ الدـنـيـاـ إـلـىـ سـعـتـهـ، وـمـنـ جـورـ الـأـدـيـانـ إـلـىـ عـدـلـ إـلـاسـلامـ"ـ فـلـخـصـ بـكـلـمـاتـ قـلـيلـةـ فـلـسـفـةـ إـلـاسـلامـ

في الحرية والتحرير، كما تعلمها في مدرسة النبوة.

ونموذج ثان، هو نموذج حاطب بن أبي بلتعة (35 ق.هـ - 30 هـ ، 586 م - 650 م) الذي حمل رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوques عظيم القبط ووارث أقدم حضارات التاريخ، والذي عكس حواره مع المقوques نوع التربية التي تعلمها في مدرسة النبوة، لقد حدث النبوة عن آفة الاستبداد التي عانت منها البشرية، فقال: "إنه قد كان قبلك رجل - (يشير إلى فرعون) - زعم أنه رب الأعلى، فانتقم الله به - (من الذين استخفهم فأطاعوه) - ثم انتقم منه، فاعتبر بغیرک، ولا یعتبر بك!"، ثم حدثه عن نموذج الحرية الدينية التي جاء بها الإسلام، فقال: "إن لك ديناً - (أي النصرانية) - لن تدعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام، الكافي به الله فقد ما سواه، وما بشاره موسى بعيسى إلا كبشرة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إليك إلى القرآن، إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به"!.

وعندما سار عمرو بن العاص إلى فتح مصر، ومعه أربعة آلاف مقاتل، فوجد فيها من جنود الروم أكثر من مائة وعشرين ألف جندي، في حصن وراءها حصن، فأرسل إلى عمر بن الخطاب يطلب مددًا، بعث إليه عمر بأربعة آلاف، وعلى رأسهم أربعة من خريجي مدرسة النبوة، وقال له: "إني قد أمدتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف، ولا يُغلب إثنان عشر ألفاً من قلة"!.

لقد بدأت مدرسة النبوة بال التربية، التي أعادت صياغة الإنسان، والتي كانت الأمة، فجاءت - بعد ذلك - الدولة، ثمرة ناضجة، يقوم عليها رجال يعدل الواحد منهم ألفاً من الرجال!.